

نبزلات من عظام



عشرة الشك

القصص يوسف أسعد

٣٥

نبذات من عظام

٣٣

عَدَّةُ الشُّكِّ

القصص يوسف أسعد

إصدار أبناء القمص يوسف أسعد

٢٠٠٠ م

مكتبة جامعة القاهرة

٢٢

الكتاب: عشرة الشك

(عظة باجتماع الشباب الجامعى والموظفين

بكنيسة السيدة العذراء بالعمرائية ٢٨/٢/١٩٩١)

المؤلف: القمص يوسف أسعد

الطبعة: الأولى: سبتمبر ٢٠٠٠

المطبعة: دار العالم العربى - الظاهر - القاهرة

إصدار: أبناء القمص يوسف أسعد

ص. ب. ٢١٢ الجيزة

رقم الإيداع: رقم الايداع: ١٥٠٤١ / ٢٠٠٠

مكتبة جامعة القاهرة

عِدَّةُ الشُّكِّ

«وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ إِنَّ كَلِّكُمْ تَشْكُونَ فِيَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ . لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنِّي أُضْرِبُ الرَّاعِيَّ فَيَتَبَدَّدُ الْخِرَافُ . وَلَكِنْ بَعْدَ قِيَامِي أُسْبِقُكُمْ إِلَيَّ الْجَلِيلِ . فَقَالَ لَهُ بَطْرُسُ وَإِنْ شَكَّ الْجَمِيعُ فَأَنَا لَا أَشُكُّ . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ إِنَّكَ الْيَوْمَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ مَرَّتَيْنِ تَنْكُرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . فَقَالَ بَأَكْثَرَ تَشْدِيدٍ وَلَوْ اضْطَرَّرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لَا أَنْكُرُكَ . وَهَكَذَا قَالَ أَيْضًا الْجَمِيعُ» (مر ١٤ : ٢٧ -

(٣١)

كَلِّكُمْ:

في هذا الفصل الكتابي نسمع يسوع وهو الحق ومصدر الحقيقة يتكلم مع خاصته - تلاميذه - قائلاً «كلِّكُمْ» فالجماعية هنا مع العددية الواضحة تتسم بنوعية خاصة.. فهؤلاء هم الذين أكلوا وشربوا مع الرب يسوع، خرجوا ودخلوا معه، عرفوه عن قرب، حتى

قال أحدهم وهو التلميذ الذي اتكأ على صدره وقت العشاء:
«الَّذِي سَمِعْنَاهُ الَّذِي رَأَيْنَاهُ بَعْيُونَنَا الَّذِي شَاهَدْنَاهُ وَلَمَسْتَهُ أَيْدِينَا»
(أيو ١: ١) .. هؤلاء كلهم بجماعتهم لم يكرموه، ولم يذكروا
فضائله، ولم يذكروا أعماله وحبه ولكنهم كلهم يشكون فيه .

تشكون في:

في الترجمة اليونانية يقول: «تعشرون بي» فلاشك أن السيد هنا
يتكلم عن تشويه الحقيقة .. فإن الشك يتولد في الإنسان حينما
يجد أمامه حقيقة وحولها مجموعة أكاذيب وإشاعات، وتعجز
إمكانياته الطبيعية وقدراته على التمييز بين الحقيقة والأكذوبة ..
وغالباً يأجبائي الحق يُقتل ويقبر ثلاثة أيام، وأيضاً الحق يحاصر بكم
من الأكاذيب والكلام غير الصادق، لأجل ذلك يقول لهم تشكون
في ..

فهم يشكون في سيدنا يسوع الذي سمعنا بطرس يناديه ويقول
له يارب إلى من نذهب كلام الحياة الأبدية عندك، وهو الذي قال
لنا أن من يؤمن بي فسيحيا إلى الأبد.. أي أنه هو مصدر الحياة، إذأ
عندما نشك في مصدر الحياة فماذا سيكون أمامنا غير الموت ..

زمن الشك:

العجيب هنا أن إلها يضع أمام عيوننا تحديد لزمن هذا الشك وهو «في هذه الليلة» ولعل حضراتكم تلاحظون أن قبل هذه الكلمات يبضع آيات كان الإنجيل يتحدث عن العشاء الأخير الذي فيه الرب أعطى تلاميذه أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه «مر ١٤: ٢٢، ٢٣».

إذا هذه الليلة هي ليلة قطف الثمر، ليلة المشهد العظيم.. ليلة حصاد الأجيال - الذي فيه يخلص الرب البشرية في المشهد العظيم.. مشهد الصليب الذي صعد فوقه الرب ليصعدنا معه.. نعم يا أحبائي يصعدنا معه إلى مجده بعد أن نجوز معه حمل صليبه، إن هذا الزمن غالياً جداً.

فلو تخيلنا في ليلة الامتحان يشك التلميذ في معلوماته أو في أستاذه فسيؤثر هذا حتماً على نجاحه بقدر كبير، أو لو تخيلنا إنساناً في ليلة تحصيل ماله الذي مصدره عرقه وجهاده وسهره ونقول له أن مصدر هذا المال أمور لا تليق بالشرف.. أو امرأة في أثناء ولادتها لطفل يأتي زوجها ويسألها عن مصدر طفلها الذي سيولد.. هنا

نعرف أن زمن الشك كم كان قاسياً على المخلص!.. وذلك لأن الشك فى القائد من جانب الجنود فى لحظة الصفر أى بدء القتال لابد أن يسفر عن هزيمة محققة.

مكتوب:

لقد ذكرهم السيد بالمكتوب، فلاشك يا أحبائى أننا فى زمن الشك لا نستطيع أن نجد أرض صلبة نقف عليها مطمئنين أعظم من كلمة ربنا المكتوبة، لذلك رب المجد يسوع ذكرهم بالمكتوب فى الأسفار المقدسة: «اضْرِبِ الرَّاعِيَّ فَتَتَشَتَّ الغنم» (زك ١٣ : ٧).

أضرب الراعى:

والضرب أنواع، فهناك ضرب على الجسم، وضرب على السمعة، وضرب من وراء أو من قدام، والضرب هنا على الراعى أى على الرأس.. فتصير الإصابة أشد، وذلك لأن مركز قيادة الجسد كله فى الرأس، أى أنه بضرب الراعى تتبدد الخراف وتتبدد الرعية وعندما تتبدد الخراف يكون هدف الشك قد تحقق.

من هو الراعى ؟

وهنا نتذكر تحديد سيدنا رب المجد يسوع للصورة الحقيقية للراعى فى إنجيل يوحنا لنميزه عن آخرين غيره.. فهناك سارق للخراف (يو ١٠: ٥) أتى لكى يذبح ويهلك.. فههدف السارق بالطبع ضد هدف الراعى، فالراعى يقود الحملان ليطعمها ويسقيها ويعطيها العلوقة فى حينها، وأما السارق فهو يقودها لشهوة نفسه وهلاكها..

أما النوع الثانى فهو الأجير أو آخذ الأجرة من الخراف.. الذى يريد أن يقف على الحظيرة ليحرس الغنم بشرط الأجرة.. فنجده يهتم بالسمن لأنه سيعطيه أجرة، أما الرفعة والهزيلة فلا يهتم بها.. لكن الراعى يدخل مستقيماً ليهتم بالجميع، الضعيف قبل القوى وذلك لأنه يهتم بالجميع أن يصير قوياً لمخلصه يسوع..

لذلك نجد الراعى يدخل للناس من الباب أى من ربنا يسوع نفسه، فيقدم لهم يسوع.. أقواله وتعاليمه وأسراره، كل ما يختص بسيدنا وإلهنا وملكننا رب المجد يسوع المسيح.. وهذا هو المدخل الأمين المستقيم، هنا سنجد أن الخراف تصغى لصوته، وذلك لأن

صوته مجرد وسيلة مواصلات لتبليغ أحلى صوت فى الوجود وهو صوت يسوع فالأمر الوحيد الذى يشبعنا ويفرحنا هو صوت يسوع، فمهما أخذ الإنسان سىظل دائماً ناقصاً حتى يأخذ ربنا يسوع نفسه له..

فاخراف لديها قدرة على تمييز صوت الراعى الذى يدخل من الباب الذى هو يسوع، فىصير صوته مجرد أداة ناقلة لصوت يسوع للآخرين.

هذا هو الراعى ينادى أو يدعو خرافه باسمائها فىعرف الهزىل من السمين باسمه واحتياجاته..

تجده قدوة فى كل شى فقبل أن يقود اخراف للصلاة تجده يصلى ومتمرس فى أعماق الصلاة، وقبل أن يقود الناس للصوم تجده يعىش الصوم.. هو دائماً فى المقدمة.. فى الرعاية تجده دائماً الراعى فى المقدمة وإلا يفقد جوهر رعايته، لذلك الراعى فى الكنيسة يصلى فى المقدمة حتى فى وقفة أى صلاة تجده فى الأمام ليقود، فقدوته هى سر من أسرار رعايته، لذلك تتبعه اخراف لأنها تعرف صوته، أى لديها قدرة التمييز..

لقد أعطاني الله بركة في وقت من الأوقات أن أكون مسعولاً
عن قطيع من الخراف حوالي خمسين خروفاً، وشعرت أنها فرصة
لذيذة لأرى كلام الإنجيل، وعاشرت الخراف فوجدت أن لهم ذكاء
ربما يفتقر إليه كثير من البشر، فهي تأكل بنظام ما يقدمه لها
الراعي ولا تبعثه، أما ما يُقدّم لها من غير الراعي فتبعثه فيفقد منه،
ولهذا فإن أقل كمية أكل يقدمها الراعي للخراف تفيدها دون فاقد
أو خسارة، فهي إذن تميز فعلاً بصوت الراعي.

أما أهم ما يميز الراعي هو بذل نفسه عن الخراف، والبذل
يا أحبائي هو قمة أنواع العطاء.. يوجد إنسان يعطي ساعة أو عدة
ساعات لكن من الذي يعطي الأربعة وعشرين ساعة..؟! ويوجد
إنسان يعطي بعض المال، لكن أين الذي يبيع ما عنده ويعطي
الآخرين..؟!
ثلاثاً تبارك الله

وكلمة يبيع أتذكر فيها أحد الخدام من خدام التربية الكنسية
عندما أرادوا تزويجه قبل رسامته كاهناً لم يكن في جيبه حتى ثمن
خاتم الخطوبة وليس الشبكة، فجمع إخوته الخدام من بعضهم ثمن
الخاتم من مصروفهم الخاص وهم مجرد طلبة.. مع أن هذا الخادم

كان راتبه الشهري في ذلك الوقت خمسة وسبعين جنيهاً (في بداية الخمسينات) وهذا يدلنا على نوعية عمله الراقى ومركزه المحترم وراتبه العالى بمقاييس ذلك الوقت، ومع هذا كان يبيع كل ذلك لأجل المسيح في خرافه واحتياجاتهم..

صدقونى يا أحبائى هذا هو مفهوم البذل، فالراعى تجدون عنده كنوزه وهم الخراف الذين لأجلهم يبيع ليقدم لهم.. على رأى القديس أوغسطينوس الذى كان يشير على الفقراء ويقول لهم أنتم أغنياء ومصدر غناى.

هذا الراعى حينما يُضرب، فماذا تنتظرون؟ سوى تحقيق المكتوب.. تبدد الرعية.

عملك فى ليلة الشك:

لهذا يا عزيزى فى ليلة الشك هذه انتبه جيداً وضع يدك حول الرأس، حول الراعى، وامسك فيه، فلو أن الضربة أتت فى أى جزء فمن الممكن مداواتها إلا الرأس.

فهمتنا فى ليلة الشك ألا نشك ولا أن نميل أسماعنا إلى

الشكوك بل أن نحمل هذه الرأس من الضربات التي هدفها ليس
الراعى وإنما تبيد الخراف.

لذلك تحدث الرب فى ذلك الوقت وقال «بعد قيامى» وهنا
القيامه تمت الأحد وهو كان يتحدث فى يوم الخميس وهذا من
جهة الزمن ساعات، لكن من جهة العمل الفدائى دهرأ لا يُقيم
بزمن ..

لقد كانت هذه الساعات حالكة جداً فلو كنا مع التلاميذ حينئذ
لكننا قد قلنا أن عصفور فى اليد أفضل من مائة على الشجرة.. وأن
الرب يتحدث عن القيامه، لكن نحن أمامنا الآن الصليب والموت..
وهنا أقول لك أن الحقيقه دائماً تُكرم بعد فوات الأوان، وبعد
فوات الزمن ..

أتذكر أحد الآباء المطارنة فى أوائل القرن العشرين وكان رائع
الجمال فى الجسد والروح، وكان من أعماق الصعيد.. صغيراً فى
السن، فكر فى عمل مدرسة لتعليم أولاد البلده ولم يكن هناك
مدارس فى تلك المدينه، فكانت أول مدرسة هناك أنشأها هو..

وأحضر لها مدرسات فرنسيات، وعمل بين المطرانية والمدرسة سلماً
لكي يدخل من المطرانية إلى المدرسة مباشرة ليسهل عليه مراجعة
الأمر من كثرة اهتمامه وشغفه باحتياجات أولاده.. وهنا ناله ما ناله
من أهل البلد من جهة الشرف والطهارة ووصلت لدرجة أن حتى
مأمور البلد الذي كان يستقبله في بيته، أصبح يرفض استقباله.. وقام
أهل البلد عليه واشتكوه للبابا إلى أن سمح الرب لهذا المطران أن
يصل إلى السماء وعندما أرادوا أن يغيروا ملابسه وجدوا أن هذا
المطران التقى بلا أعضاء جنسية، وهنا أهالوا التراب على رؤوسهم
وهم يقولون ظلمناك ظلمناك.. ولقد قابلت حفيد لأحدهم وحكى
لي أن بعضهم أصيب إصابة فورية بما ضربهم الرب به عقب
اكتشافهم لطهارة هذا البار.. ولكن هذا حدث بالطبع بعد نياحة
المطران.. وبعد فوات الأوان، وأصبح الشر مسئولية من صاغوه.

لأجل هذا احذر جداً في زمن الشك وتثبت في كلمة الإنجيل،
واجعل عملك هو الحفاظ على الراعي، لأن عمل الشيطان هو
ضرب الراعي لتبديد الرعية.. وبهذا ينتهي المصدر الذي يجمع
الخراف.

جليل الذكريات:

من هنا قال سيدنا للتلاميذ أسبقكم إلى الجليل .. والجليل هو المكان الذى كان يتقابل فيه مع التلاميذ ويجلس معهم ويعلمهم ويصنع فى وسطهم المعجزات، فقد رآه يشبع الجموع من الخمس خبزات، ويفتح عينى الأعمى، رآوا البحر يسكت عندما يشير له .. فالمنطقة كلها ذكريات .. وهو يسبقهم إلى هناك ..

لذلك فى ليلة الشك سيروا مع يسوع إلى جليل الذكريات .. فالذكريات يا أحبائى أعظم حافظ لنا فى زمان الشك .. نتذكر الحب وليس القسوة، نتذكر حب هذا الراعى الذى فى الجليل وقد أخذنا معه إلى جبل طابور ورأيناه متجلبياً هناك، وهنا يكون لنا رجوع بسرعة بالذكريات الممتلئة نقاوة حافظة لنا من همّ الشك ..

فلو أراد الشيطان أن يشككنى أرجع لذكريات الجليل الحلوة التى للراعى الأمين وأذكر حبه وعطاؤه وبذله وفداؤه، أنظر إلى صورة الراعى الذى يحمل الخراف على منكبيه، فأرجع سريعاً لأتلاقى مع مصدر الثقة .. مع يسوع، أرجع سريعاً إلى الذكريات لأجده هناك.

العاطفة العائرة:

فى هذا المشهد سجل الكتاب المقدس كلام عاطفى جداً
للماربطرس الذى قال: يارب فى هذه الليلة مع زمن الشك لا يمكن
أن أترك حتى وإن شك فىك الجميع، فرد عليه الرب إنه قبل أن
يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات، والسيد المسيح قال هذا
الأمر بطريقة مخففة، فهو سب ولعن وأنكر بسبب جارية.

لهذا يا أحبائى إن العاطفة فى زمن الشك تعثر، وهذا ما تجدونه
دائماً من العاطفة، لكن نشكر ربنا أن هذه العاطفة عندما تذكرت
كلام ربنا يسوع حالاً رجعت إلى طبيعتها إذ بكى بطرس، فلم
نسمع أن يسوع عاقب هذه العاطفة ولا أدانها حتى بعد القيامة، بل
سمعنا ياسمعان بن يونا.. أتحبنى!؟

هكذا تتعامل مع العاطفة العائرة فى زمن الشك عندما نجدها
تعثر لا ندينها، لكن نترك الحب يتعامل معها، والحب حينما
يتعامل مع العاطفة العائرة يستطيع أن يردها مرة أخرى فتصير
للربح، كما تعلمون أن معلمنا بطرس بنفس هذه العاطفة وبنفس
اللسان المندفع كسب للمسيح ثلاثة آلاف نفس فى عظة واحدة.

لأجل ذلك لا تحرقوا العاطفة العائرة، اتركوا شأنها للذى
يستطيع أن يداويها، ربنا يسوع هو وحده مصدر الدواء، ويستطيع
أن يعطى لهذه العاطفة فى اللحظة المناسبة الفكرة والدموع ثم
الرجوع مرة أخرى بكفاءة أفضل.

يا أحبائى أننى أردت بهذا أن أذكركم بكلام الرب يسوع فى
وقت تكثر فيه إشاعات تملأ الآذان مع أن مصدرها يوحى بالثقة،
لكن حقيقتها أكاذيب، فاحترسوا لأنفسكم فى هذا الزمن، فحن
فى زمن استطاع فيه إنساناً أن يسرق دولة ثم انهزم فوقف يقول
للناس اهتفوا للنصر.. إنسان كذب كذبة ثم صدقها.. فهذه
يا أحبائى هى طبيعة العصر، وأخشى أن تدخل إلينا فى الكنيسة
عروس المسيح..

احترسوا من كمّ الإشاعات والأكاذيب وارجعوا للمكتوب فى
الإنجيل من كلام الحبيب الذى يضمّد كل الجراح، وليحفظ الرب
سلامكم وسلام شعبه فى كل مكان وينجيننا من حروب الشياطين
ومن تدابير الذين يسيرون فى فلكتها.

إن الشك يتولد في الإنسان حينما يجد
أمامه حقيقة وحولها مجموعة من
الأكاذيب والإشاعات، وتعجز إمكانياته
الطبيعية وقدراته على التمييز بين الحقيقة
والأكذوبة.. وغالباً يا أحبائي الحق يقتل
ويقبر ثلاثة أيام، وأيضاً الحق يحاصر بكم
من الأكاذيب والكلام غير الصادق، لأجل
ذلك يقول لهم تشكون في.. فهم يشكون
في سيدنا يسوع الذي قال لنا أن من يؤمن
بى فسيحيا إلى الأبد.. أى أنه هو مصدر
الحياة، إذا عندما نشك في مصدر الحياة
فماذا سيكون أماننا غير الموت.